المحاضرة 09: الحكاية الأمازيغية (الاحجية الشعبية)

إن الحكاية الشعبية كما تقول" نبيلة إبراهيم" هي قصة نسجها الخيال الشعبي، تدور مواضيعها حول أحداث معينة ومهمة، يستمتع الشعب بروايتها والإنصات إليها إلى درجة أنها تتناقل جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفوية

تحديد مصطلح الأحاجي الشعبية الأمازيغية :

من المعلوم أن المصطلح الأمازيغي الأنسب لترجمة الحكاية الشعبية هو مصطلح" تحاجيت"، وهو قريب من الكلمة العربية " الأحجية ولقد استخلصنا(يقول الدكتور جميل حمداوي) هذا المصطلح من اللازمة السردية التي تتكرر في بداية كل حكاية شعبية أمازيغية ريفية، وهي على الشكل التالي: " حاجيت ماجيت، سيسو ءاتيازيط، ناش ءاذاشاغ ثاذماث أو ثاماصات، شاك ءاتاشاذ ءاثقينسات، وترجمة هذا المطلع هو:" جاءتكم هذه الأحجية الطريفة، الكسكس بالدجاج، آكل الصدر، وأنت تأكل العجز[5]"

وبالتالي تقترب الأحاجي من الألغاز، ويرى الباحث الأمازيغي محمد أقضاض أن أصل هذا المصطلح " تحاجيت" عربي خالص، إذ يقول الباحث:" فكلمة" حجيت" مشتقة من كلمة عربية، وأصلها الأحجية جمع أحاجي أو أحاج، وهي الكلام المغلق كاللغز، يتحاجى الناس فيها الأحاجي، صنفا من الألغاز. وقد حورت الكلمة من معنى حكايات الألغاز إلى الحكاية الشعبية، فأصبحت تعني الحكاية بعد تمزيغها[6]

ويتبين لنا من كل هذا أن مصطلح الحكاية الشعبية يثير في الساحة الثقافية الأمازيغية كثيرا من الجدل الفكري والأدبي والفني ، وذلك بسبب الاضطراب والالتباس واختلاف المصطلح من منطقة إلى أخرى، وهل هو مصطلح أمازيغي أصيل أم أنه مصطلح دخيل؟!! وعلى الرغم من هذا الاضطراب والتداخل الاصطلاحي والمفهومي، فإننا سنحتفظ بالمصطلح المتداول في الساحة الثقافية الأمازيغية ، فنسمي الحكاية الشعبية بـ" تحاجيت"

:تطور الحكاية الشعبية الأمازيغية

من المعروف أن الإنسان الأمازيغي قد عرف الحكاية الشعبية منذ القديم، فقد كانت هذه الحكاية وسيلة للتربية والتعليم والترفيه والتسلية. وكانت هذه الحكاية الشعبية موجهة بالخصوص إلى الأطفال الصغار، إذ كان يرويها الكبار كالجد والجدة والأب والأم والعم والعمة والخال والخالة... وبالتالي، فثمة مجموعة من الإشارات التاريخية التي تثبت مدى اهتمام أمازيغ شمال أفريقيا بالحكاية الشعبية إبداعا وخلقا وحكيا وحفظا، حيث أورد الملك الأمازيغي المثقف يوبا الثاني في كتابه الموسوعي" ليبيكا" حكاية شعبية ذائعة الصيت، كانت تسمى بقصة :" الأسد الحقود". ويقول عنها محمد شفيق بأن الجدات مازلن:" في بوادينا، إلى يومنا هذا، يقصصنها على أحفادهن باللغة البربرية في ليالي السمر من فصل الشتاء. إن في ذلك لدلالة على أن الأدب الشفوي قد يحفظ خيرا مما يحفظ المدون[7].

---

[5] ينظر،د.جميل حمداوي ، خصائص الأحاجي الشعبية الأمازيغية

[6] ينظر، محمد أقضاض وآخران: إشكاليات وتجليات ثقافية في الريف،مطابع أمبريال، سلا، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1994م، ص:84؛

[7] ينظر، محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1989م، ص: 77

وقد اثبت ابن خلدون ، وذلك بعد أن لخص حكاية أمازيغية واحدة، بأن البربر كانت لديهم الكثير من الحكايات والقصص، ولاسيما حكايات الحيوانات(حكايات الثعلب) ، فلو جمعت ودونت لملئت بها مجلدات ضخمة . ويعني هذا أن مجموعة من الحكايات الشعبية الأمازيغية قد ضاعت عبر مرور الزمن؛ لأنها كانت تنتقل بين الناس بطريقة شفوية . وبالتالي، لم تكن مدونة أو مكتوبة أو محفوظة، وذلك على غرار باقي الفنون الأدبية والفنية الأمازيغية (الشعر، والمسرح، والغناء...).ومن هنا، فإن الحكاية الشعبية الأمازيغية لم تعرف التدوين بشكل بارز إلا في فترة متأخرة، وذلك في سنوات القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك على (René Basset) يد المستمزغين الأوروبيين، كما هو حال المستمزغ الفرنسي روني باسيه ، والذي جمع مجموعة من الحكايات الشعبية الأمازيغية إعدادا وترجمة وتعليقا. ويعني هذا أن البرابرة قد عرفوا مثل الشعوب الأخرى الحكايات العجيبة وحكايات الحيوان على حد سواء[8].

الحكايات الشعبية بمنطقة القبائل منذ بداية القرن (W. Hodgson) هذا، وقد جمع هودسون التاسع عشر، حيث نقلها من الموروث الشفوي الأمازيغي إلى الكتابة اللاتينية، وقد خصص ثلاثة دفاتر للحكايات الشعبية الأمازيغية بمنطقة القبائل (le père Rivière) القس ريفيير Leblanc)بجرجرة سنة 1882م، مع ترجمتها ترجمة جزئية. وقام أيضا لوبلان دو بريبوا بنشر مجموعة منها سنة 1897م مرفقة بترجمة لها. بيد أن أهم عمل في هذا (de Prébois ، وذلك حينما نشر ما (Auguste Mouliéras) المجال ما قام به أوجوست موليرا بين1893و1897م مجلدين من نصوص القبائل، وذلك تحت عنوان:" الخرافات والحكايات العجيبة للقبائل الكبرى Légendes et contes merveilleux de la Grande Kabylie ". كما نشرت مجموعة من الحكايات الشعبية الأمازيغية بالجزائر منذ سنة 1945م، وذلك في ملف الوثائق البربرية للجبهة الوطنية ، والذي كان يشرف عليه القس دالي (Le père Dallet.). وهناك أعمال أخرى مشهودة في هذا المجال للباحثين الجزائريين كبلعيد آيت علي، وبلقاسم بن سيديرا، ومولود معمري، وبوليفة[9]

---

[8] ينظر ،د.جميل حمداوي،خصائص الحكاية الشعبية الأمازيغية،

[9] يمكن الاستئناس باالمراجع التالية في الحكاية الشعبية الجزائرية. يمكن الاستئناس بالمراجع التالية في مجال الحكاية الشعبية بالجزائر:

"Trois Cahiers de contes Populaires de la Kabylie du Jurjura ", Recueil de contes, traduction partielle, Père Rivière, 1882.

"Tradution de contes berbères", Recueil de contes, Leblanc de Prébois, 1897.

"Chants berbères de Kabylie", Jean El Mouhouv Amrouche. 1re édition, Tunis, Monomotapa, 1939. 2e édition, Paris, collection "Poésie et théâtre", dirigée par Albert Camus, Editions Edmond Charlot, 1947. 3e édition, Paris, L'Harmattan, préface de Henry Bauchau, 1986. 4e édition (édition bilingue), Paris, L'Harmattan, préface de Mouloud Mammeri, textes réunis, transcrits et annotés par Tassadit Yacine, 1989.

"Légendes et contes merveilleux de la Grande Kabylie", Recueil de contes, Volume 1 et 2, Auguste Mouliéras, 1893 – 1897.

"Légendes et contes merveilleux de la Grande Kabylie", Recueil de contes, Traduction intégrale des recueils de Auguste Mouliéras, Camille Lacoste, 1965

"Le Grain magique", Marguerite Toas Amrouche, recueil de contes et de poèmes", 1966.

"Les Isefra de Si Mohand ou M hand", Mouloud Memmari, texte berbère et traduction, Paris, Maspero, 1969, 1978 et 1982, Paris, La Découverte, 1987 et 1994.